خمس قصص

عائشة الكعبي : قاصّة ومترجمة وفنّانة تشكيليّة من الإمـارات. صدر لها: **غرفة القياس** (الشارقة، ٢٠٠٧)، **ولا عـزاء لقطط البيوت** (عمّان، ٢٠١١).

١ ـ اكتشاف

فتح الظرف الذي سلّمته إيّاه الممرّضة، وتعرّف إلىٰ الكرّاسة القديمة على الفور. كرّاسة ضخمة تعوّد أن يرى والدته منكبّة عليها كلّ ليلة في غرفة المكتب، وأحيانًا على السرير الذي يرتجّ بشخير والده؛ وحتى حين انتقلتْ للعيش معه، كانت الكرّاسة أوّلَ شيءٍ وضعته قرب سريرها. لطالما اعتراه الفضول لقراءة هذه الكرّاسة، وهاهي تتركها له ليقرأها. ومن يدري.. فربما يكتشف ما لم تكشفه له الأيّامُ التي جمعتهما.

فتح الكرّاسة بيد متردّدة. قلّب الصفحات بتوتر واضح. لا بدّ أنّ هنالك خطأً ما؛ فالصفحات بيضٌ لم تكد تُمسّ، لولا التواريخ المدوّنة أسفلَ كلّ صفحة.

أخيرًا لمح ما يشبه الكتابة.

الصفحة قبل الأخيرة كُتب عليها: «كلَّ ليلة كنتُ أحاول أن أدوّن أحداثَ يومي. وكلَّ ليلة كنتُ اكتشف أنْ ليس هناك من شيءٍ يُذكر!»

٢ ـ سيرةٌ عطِرة

حين سئمتْ بائعةُ العطور من طول تردّدي في اختيار العطر المطلوب، سألتْني عن العطور التي استخدمتُها سابقًا، علّ ذلك يساعدها في معرفة ذوقي.

أخبرتُها عن «متعة،» العطرِ الذي استخدمتُه أثناء دراستي الجامعيّة. كان كائنًا بخفّة روحي آنذاك، الجاهلةِ بأبجديّة الهموم والأحمال.

ثم أخبرتُها عن «قصيدة،» العطرِ الذي رافقني في تفاصيل قصّة حبّي الأول. عبيره وحده كافٍ لأن يحملني إلى مساءاتٍ بطعم التوق.

ثم هناك «سينما،» أوّلُ عطرٍ ابتاعه لي زوجي. كنتُ قبله أتخبّط في استعمال كلّ عطر جديد، آملةً أن يعقّب عليه، لكنّه لم يفعلْ قطّ. وحين سألتُه، كانت إجابته بتلك الهدية. أعجبني اختيارُه، إلا أنني لم أستمرّ عليه طويلاً؛ ذلك لأنني وجدتُ أنّ ابنة عمه، أو خطيبته السابقة، مازالت تستخدمه.

أما العطر الذي استخدمتُه مذ عدتُ إلى العمل هروبًا من رتابة الحياة، فهو «فرصة.» وهو يذكّرني بحالي: امرأة في حالة ترقّب دائم، لشيءٍ ما، لفرصةٍ ما.

بطرقة قنينة العطر التي وضعتْها أمامي، عدتُ من شرودي.

«هذا ما تحتاجينه.» سلّمتْني قصاصةً كرتونيّةً مستطيلة، رُشَّ طرفُها بعطرٍ عذبِ الحدّة، وقالت:

– يدعى «معجزة.»

٣ ـ هبوط

صار غالبًا ما يراها تهبط فجأةً إلى الأرض، لتلتقط بمنديلها الورقيّ شيئًا ما.

وأصبح يكره هوسَها الجديد بنظافة الأرضيّة، وكم ودّ لو يخبرها أن تتوقف.

لكنها لم تفعل؛ فقد اعتقدتْ أنه لن يعرف بأمر صلعها ما دامت تلتقط خصلاتِ شعرها عن الأرض.

٤ ـ وجهة نظر

حين همّت بالتخلّص من مرآتها العتيقة، صاحت بها المرآة معاتبة:

– أهكذا يكون جزاء مَنْ خدمك طوال هذه السنين؟!

أجابت بثقة:

– أعذريني يا رفيقتي، لكنّ إطارك تآكل، وأطرافك تقشّرتْ، ولم تعودي بالصفاء الذي كنتِ عليه.

صمتت المرآة قليلاً، ثم اعتدلتْ لتواجه صاحبتها وقالت:

– هلاّ نظرتِ إلى الوجه المنعكس على صفحتي. لستُ الوحيدة التي شاخت هنا يا عزيزتي.

٥ ـ إعلان

ترددّتْ كثيرًا قبل أن تمدّ يدها لتضع علبة شاي التخسيس في عربة الشراء؛ فقد جرّبتِ الكثير من الخلطات إلا أنها لم تصل إلى الوزن الذي تطمح إليه. وما إنْ وقع نظرُ صغيرتها على علبة الشاي حتى صاحت بعلو صوتها:

– ماما، هذا هو الشاي الذي كتبتِ اسمه حين عُرض إعلانُه على التلفزيون!

حاولت السيّدة إسكاتَ طفلتها، لكنْ بعد فوات الأوان: فقد تسمّرتْ أعينُ السيدات المتبضّعات بقربها على عربتها لمعرفة أيّ شاي مهمّ ذاك!

دفعت السيدة عربتها مبتعدةً عن قسم الشاي، وقصدتْ قسم اللحوم. لكنّ فضول الصغيرة كان لا يزال منحصرًا في علبة الشاي. وبصوتها العالي تساءلتْ مجدّدًا:

– هل أستطيع شرب هذا الشاي يا أمي، أمْ أنّه للناس السمان فقط؟

قرّرت الأم الاكتفاءَ من التضبّع وغادرتْ قسم اللحوم ونظراتُ المتبضّعين تتفحّص حقيقة سمنتها. وحين صفّت البضائع أمام البائعة، تركت الشاي في العربة لأنها عدلتْ عن قرارها شراءه.

و قبل أن تغادر المحلّ، رمقها جمهورُ المتبضّعين بفضول حين هتفت الصغيرة مستنكرة:

– ماما، لقد نسيتِ أخذ الشاي الذي لن يجعلك تبدين سمينة!